



البيئة الأسرية و بروز ظاهرة العود إلى الانحراف

دراسة نظرية فيعلم اجتماع الانحراف

سميريونس

باحث في علم اجتماع الجريمة والانحراف جامعة الشاذلي بن جديد - الطارف- عنابة-

الجزائر

البريد الإلكتروني: Younes.samir@yahoo.fr

ملخص-

انطلاقا من المعالجة العلمية للكثير من النظريات والدراسات السوسيو-انحرافية، يتبين أن ظاهرة العود إلى الانحراف هي عبارة عن نتاج البعد البيئي-الاجتماعي. حيث ان الطرح البيئي-الاجتماعي يعالج هذه الظاهرة كحصيلة للبيئة الاجتماعية (العامة والخاصة) والتي من بينها هناك البيئة الأسرية كبيئة اجتماعية خاصة و التي يمكن اعتبارها من أهم العوامل المؤثرة في بروز ظاهرة العود إلى الانحراف. و لهذا سيتم على مستوى هذا العمل التطرق إلى دراسة عوامل البيئة الأسرية التي تساهم في توجيه الشخص نحو العود إلى الانحراف في المجتمع. فيا ترى كيف تؤثر هذه البيئة في انتاج العود إلى الانحراف لدى أفراد الأسرة؟

لقد تبين من خلال هذا العمل انالعوامل المرتبطة بتفكك البيئة الأسرية تساهم في بروزالعود إلى الانحراف في المجتمع لدى أفراد الأسرة وذلك خاصة ما تعلق: باثر غياب او مرض احد او كلا الابوين و حجم افراد الاسرة. بالتربية غير السليمة و بانهايار المستوى الاخلاقي وتدهور العلاقات فيما بينأفراد الاسرة. الكلمات الدالة: البيئة الاجتماعية - البيئة الاسرية- العود الى الانحراف- التفكك المادي والمعنوي

The family environment and the emergence of recidivism atheoretical study in sociology of deviation

Summary-

According to the scientific analysis of several theories and studies in the field of the investigation in the sociology of deviance, it is clear that recidivism as much as sociological phenomenon is the result of socio-environmental factors (public and private). Among these multiple factors, many researches demonstrated the primary impact of the socio- family environment on the emergence of recidivism in society.

In this article we are sociologically going to study the role of socio-family factors contributing to influence the conduct of the person toward social recidivism. So how this special environment participates in the formation of recurrent behavior among family members?

It has been shown through this work that the factors of the disintegration of the family environment contribute to the emergence of recidivism in society among family members, particularly concerning:

- The absence or illness of one or both parents and the number of individuals in the family home.
- Dysfunctional education, the collapse of moral standards and the deterioration of relations within the family.

Key words: social environment, family environment, recidivism, physical and moral disintegration.

مقدمة-

يعالج هذا المقال علاقة البيئة الاجتماعية بظاهرة العود الى الانحراف و ذلك بالتركيز على دور البيئة الاسرية التي تعتبر بيئة اجتماعية خاصة لها تأثير عميق في بروز وانتشار هذه الظاهرة على مستوى المجتمع .

على مستوى هذا العمل يمكن دراسة ظاهرة العود الى الانحراف من الناحية السوسيو- انحرافية باعتبارها مشكلة اجتماعية ، تعد نتاج تفاعل العديد من العوامل المجتمعية والتي من بينها عوامل التفكك المادي و المعنوي الخاصة بالبيئة الاسرية، والتي تساهم في توجيه افرادها نحو انتهاج الممارسة الانحرافية والاستمرار فيها مستقبلا على مستوى المجتمع.

البيئة الاجتماعية والعود إلى الانحراف

قبل الشروع في عملية الاجابة على التساؤل يجب الاشارة الى ان مفهوم العود الى الانحراف يراد به من الناحية السوسيوولوجية حالة الشخص الذي يقوم بارتكاب انحراف وهو لا يستطيع أو لا يريد أن يتوب أو أن يعدل عن ارتكاب الانحراف من جديد.

يجمع الكثير من الباحثين والكتاب في موضوع العود إلى الانحراف، كظاهرة اجتماعية مرضية، على أنه من الممكن أن يكون نتاج لعوامل خارجية، لا تتعلق بشخصية العائد إلى الانحراف بدرجة أساسية، وإنما >>... تتصل بالوسط الذي يعيش فيه، ويكون من شأنها [العوامل الخارجية] التأثير على سلوكه وتوجيهه نحو اقتراف الجريمة..<<(1).

هذه العوامل الخارجية هناك من يصطلح على تسميتها بالعوامل البيئية، ويراد بها تلك القوى والأوضاع والظروف التي تحيط بالعائد إلى الانحراف، والتي تؤثر فيه، بصفة مباشرة أو غير مباشرة. وعلى هذا الأساس يرى أحمد حبيب السماك أن العوامل البيئية عبارة عن: >>... مجموعة المؤثرات الطبيعية والدينية والثقافية والاقتصادية والسياسية وغيرها من القوى الاجتماعية المتواجدة في بيئة الفرد، والتي يمكن أن يكون لها أثر مباشر أو غير مباشر على شخصيته وسلوكه الاجتماعي<<(2).

من جهة أخرى، البعد الذاتي وما يمثله من بنية نفسية وأخرى عقلية وعضوية، ليس له دور يذكر - حسب تقدير بعض الباحثين- في بروز الانحراف أو العود إليه، وهذا في ظل البعد البيئي وخاصة منه الاجتماعي. لهذا يذهب معتصم زكي السنوي إلى اعتبار أن العوامل الاجتماعية -بما في ذلك البيئة الخاصة- تساهم >>... وإلى حد كبير في نشوء ظاهرة العود، فالمجرم بصفاته الشخصية ومميزاته الطبيعية والأنثروبولوجية ليس هو الأساس الوحيد للإجرام بل الوسط الاجتماعي هو العامل الآخر المهم لنشوء ظاهرة العود...

¹ - محمد شلال العاني وعلي حسن طوالبه: علم الإجرام وعلم العقاب. ط1، دار المسيرة، عمان، 1998، ص 161.

² - أحمد حبيب السماك: ظاهرة العود إلى الجريمة (في الشريعة الإسلامية و الفقه الجنائي)، ذات السلاسل للطباعة و النشر، الكويت، 1985، ص 194

وقد يكون العود أحيانا [راجعا] لظروف اقتصادية سيئة يمر بها الجاني كالفقر والعوز مثلا... كما أن للبيوت الرديئة والأسر المتصدعة [لها] أثرها الكبير في هذه الظاهرة إضافة إلى العيش في مناطق تكثر فيها الجريمة وتنتشر فيها الرذيلة، فكثير من العائدين ينحدرون من هذه الأسر والبيئات. ومن السهل على هؤلاء الانحدار في طريق الجريمة والعود إليها ثانية بسبب أوضاعهم الاجتماعية هذه وحياتهم البيئية⁽¹⁾.

وفي الاتجاه ذاته الذي ذهب إليه معتصم زكي السنوي، ورد إثر المداخلات التي قدمت في إطار انعقاد المؤتمر الدولي الرابع لعلم الإجرام بلاهاي، تقريراً قدمه كريستيانسن جاء فيه >... أن عود السجين للجريمة لهذا العود هو حالة من حالات العود إلى الانحراف مرة أخرى أو عدمه، ومتى يرتكب جريمته الأخرى، من الأمور التي تبدو مشروطة بعوامل ظروفه الاجتماعية بغض النظر عما إذا كان ذكاؤه عاديا أو كان غبيا، وما إذا كان ناضجا أو غير ناضج، أو ما إذا كان يتسم بنقص في الخلق أو كان سويا...⁽²⁾. ويضيف كذلك >... أنه مع الاعتراف بتأثير العوامل الفردية إلى حد بعيد في فئة معتادي الإجرام^(*). إلا أن هناك نتائج للعديد من الدراسات تشير إلى تأثير العوامل الاجتماعية ليس

¹ - معتصم زكي السنوي: "أسباب العود إلى الجريمة". الأمن والحياة (مجلة أمنية ثقافية إعلامية)، العدد 247، أكاديمية نايف للعلوم الأمنية، المملكة السعودية، 2003، ص 40.

² - أحمد حبيب السماك: مرجع سابق، ص 199.

♦ تجدر الإشارة إلى أن فئة معتادي الإجرام بالإضافة إلى فئة محترفي الإجرام، هما عبارة عن فئتين لطائفة المجرمين العائدين، وهذا انطلاقا مما جاءت به تقارير الباحثين المشاركين في المؤتمر الثالث لعلم الإجرام. كذلك يصطلح بعض العلماء على تسمية محترفي الإجرام بالمجرمين اجتماعيا، وهذا بالنظر لارتباط سلوكهم غالبا بالعوامل الاجتماعية، في حين يطلق على معتادي الإجرام تسمية المجرمين فرديا، وهذا انطلاقا من ارتباط سلوكهم بالعوامل النفسية أو التكوينية أو المرضية. للاستزادة ارجع إلى: أحمد حبيب السماك: مرجع سابق، ص 197 - 198.

ملاحظة: يتم التعامل مع معتادي ومحترفي الإجرام -على مستوى هذا البحث- بصفتهم حالتين من حالات العود إلى الانحراف.

فقط في حالة العائدين الأسوياء، بل أيضا في حالة الجانحين الذين يعتبرون منحرفين أو مرضى من الناحية النفسية¹.

هذه الإضافة النوعية التي جاء بها أستاذ علم الإجرام بجامعة كوبنهاجن تركز من جديد على مدى أهمية تأثير البيئة الاجتماعية في بروزالعود إلى الانحراف. ولعل من ابرز البيئات الاجتماعية ذات التأثير العميق في بناء سلوك الشخص هناك البيئة الأسرية. فيا ترى كيف تؤثر هذه البيئة في تشكل سلوك العود إلى الانحراف عند أفراد الأسرة؟

البيئة الاسرية وعوامل التفكك المادي والمعنوي

إن المتفحص في المادة النظرية المعالجة للعوامل المميزة للبيئة الأسرية التي تضم منحرفين (سواء أكانوا مبتدئين أو عائدين) ليخلص مبدئيا إلى أنه من الممكن أن يتم تصنيفها -على الأقل من الناحية النظرية - إلى:

- عوامل تتعلق بالجانب المادي (البنائي) للأسرة.

- عوامل تتعلق بالجانب المعنوي (الوظيفي) للأسرة.

مع العلم أن هذه العوامل (المادية - المعنوية) هي جد مترابطة ومتداخلة فيما بينها، ويتم التفرقة بينها لمجرد المعالجة النظرية. ففي الواقع لا يمكن الفصل بينهما، حيث أن كل واحد يؤثر في الآخر، فهي متفاعلة فيما بينها.

أولا: التفكك المادي.

كثيرا ما يذهب الباحثون والكتاب في ميدان الانحراف والأسرة إلى اعتبار ظروف البيئة الأسرية من العوامل الأساسية التي تنتج الانحراف، أو على الأقل توفر البيئة الخصبة لأفرادها لينغمسوا في عالم الجريمة والانحراف، وهذا بالنظر إلى جملة من المعطيات التي ترتبط بها، والذي من بينها الجانب المادي، الذي في حالة لا فاعليته يصطلح على تسميته بالتفكك (التصدع) المادي للأسرة. والجدير بالذكر أن هذا التفكك يتعلق بالأساس بتواجد أو غياب الأبوين على مستوى الأسرة، وكذلك حجم الأسرة.

1- التفكك المادي فيما يخص الوالدين و مساهمته في عود الأفراد إلى

الانحراف

¹ - أحمد حبيب السماك:مرجع سابق، ص ص 198 - 199.

ترى فوزية عبد الستار أن التفكك المادي يرجع إلى >>...عدم وجود الأبوين معا في نطاق الأسرة بغيابهما، أو غياب أحدهما...فقد يغيب الأب عن منزل الأسرة إذا مات، أو جند، أو سجن، أو هجر أسرته أو كان عمله يقتضي غيابه عن المنزل أغلب الوقت<<⁽¹⁾. ولهذا التفكك اثر سلبي في عملية تنشئة الأبناء حيث >> أن الأسرة التي تفقد إحدى دعائمها سواء الأب أم الأم، يجعلها شبه عاجزة عن مراقبة وتوجيه سلوك أفرادها، لذا فقد يميل بعض أبنائها لممارسة السلوك الانحراي<<⁽²⁾.

ويمكن ارجاع التفكك المادي كذلك في حالات أخرى إلى عجز أحد الوالدين أو كلاهما بسبب المرض (العضوي - النفسي - العقلي) عن إنجاز وظيفة الرعاية والتعهد مثلا اتجاه الأبناء- وهذا رغم تواجدهما في البيت. حيث أن لا فعالية هذا التواجد من شأنه أن يؤثر بصفة غير مباشرة في انحراف أفراد الأسرة وحتى العود إليه وذلك في ظل غياب نموذج سلوكي يقتضي أثره الأبناء.

ومن بين الدراسات التي أجريت في باب البحث عن علاقة التصدع أو التفكك المادي للأسرة-فيما يخص الوالدين- وانحراف بعض أفرادها هناك دراسة جعفر عبد الأمير الياسين الذي توصل إلى:

- أن هناك >>...علاقة طردية بين حالات وفاة أحد الوالدين أو كليهما وبين جنوح الأحداث...<<⁽³⁾.

- كذلك >> كلما زادت نسبة حالات الهجر بين الوالدين كلما زاد احتمال وقوع الأحداث في مهاوي الجريمة...<<⁽⁴⁾.

¹ - فوزية عبد الستار: مبادئ علم الإجرام و علم العقاب. ط 5، دار النهضة العربية، بيروت، 1978، ص 166.

² - تماضر حسون وحسين الرفاعي: المشكلات الأمنية المصاحبة لنمو المدن والهجرة إليها. تقديم: فاروق عبد الرحمن مراد، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض، 1408، ص 138.

³ - جعفر عبد الأمير الياسين: اثر التفكك العائلي في جنوح الأحداث. ط 1، عالم المعرفة، بيروت، 1981، ص 232.

⁴ - جعفر عبد الأمير الياسين: المرجع السابق، ص 276.

وهذه نتائج تؤكد مدى الصلة الوثيقة بين التفكك المادي الأبوي وتوجه الأفراد الأحداث نحو الانحراف والجريمة.

بالإضافة لما سبق، أكدت الإحصائيات الفرنسية على أن 4/3 المجرمين العائدين ينحدرون من أسر متصدعة، وكذلك الحال بالنسبة إلى أكثر من 3/1 من المجرمين المبتدئين¹. يبرز هذا التصدع المادي بوضوح إمكانية تصنيف غياب الوالدين أو أحدهما ضمن > انحرافات البيئة العائلية [التي] تبرز في مقدمة العوامل الاجتماعية لنشوء السلوك الإجرامي بوجه عام وجنوح الأحداث على وجه الخصوص <<⁽²⁾.

2- التفكك المادي فيما يخص حجم الأسرة وعلاقته بنشوء العود إلى الانحراف.

ويتعلق الأمر هنا بعدد أفراد الأسرة الذين هم تحت مسؤولية الأبوين، بحيث كلما زاد هذا الحجم تطلب ذلك مجهودات وإمكانات مادية وشروط معنوية للإشراف العام على أفراد الأسرة. ولهذا كثرة الأفراد داخل الأسرة، سواء الأبناء، أو حتى التابعين إلى الأسرة الممتدة (العم، الخال،...) وتواجدهم في المسكن ذاته من شأنه أن يزيد من التوتر والمشاكل داخل الأسرة. وهذا ما قد يساهم في توجه أفرادها خاصة الصغار نحو الخارج بحثا عن الهدوء والراحة، ولكن هذا البحث قد يقودهم نحو الانخراط في عالم الانحراف.

هناك باحثين توصلوا، إثر دراسات قاموا بها فيما يخص حجم الأسرة أو صف ترتيب الولادة وعلاقة ذلك بالعود إلى الانحراف لدى أفراد الأسرة، إلى نتائج تؤكد وجود علاقة تنبؤية ما بين حجم العائلة أو ترتيب الولادة والعود الإجرامي⁽³⁾.

تجدر الإشارة فيما يخص التفكك المادي للبيئة الأسرية - من جانب الوالدين، حجم الأسرة - إلى أنه لا يعد العامل الوحيد الذي من الممكن أن

¹ - فوزية عبد الستار: مرجع سابق، ص 167.

² - أكرم نشأت إبراهيم: **علم الاجتماع الجنائي**. الدار الجامعية للطباعة والنشر، بيروت، ص 35- 36.

³ -

يدفع الشخص نحو العود إلى الانحراف، حيث هناك احتمال توافر عوامل معنوية خاصة بالتفكك المعنوي (الوظيفي) على مستوى أسرة العائد، والتي بدورها تساهم في نشوء العود إلى الانحراف على مستوى أفرادها.

ثانياً: التفكك المعنوي.

على مستوى هذا الجزء من البحث سيتم التركيز على بعض أشكال التفكك المعنوي التي من الممكن أن تميز أسرة العائد إلى الانحراف، ومن جهة أخرى لها تأثير في دفع الفرد نحو العود.

1- التربية غير السليمة وأثرها في اكتساب سلوك العود إلى الانحراف.

يمكن اعتبار التربية الأسرية غير السليمة من بين أهم العوامل المؤثرة في توجيه الأفراد- داخل الأسرة وحتى خارجها- نحو ارتكاب الانحراف بدرجاته المختلفة، وحتى الاستمرار فيه (العود إلى الانحراف). من جهة أخرى، يمكن أن تعد هذه التربية الموجهة من قبل الأسرة نحو الفرد مؤثر مباشر في انسياق أفرادها وراء الانحراف والعود إليه، وهذا في حالة كون >>...أحد الأبوين أو كلاهما مجرماً أو منحرفاً...[حيثاً يكتسب الابن السلوك الإجرامي عن أبويه بالمعاشرة...<<⁽¹⁾ وتقليدهما، أو حتى تقليد أحد أفراد عائلته. ففي ظل غياب النموذج السوي الذي يعتمد عليه الطفل في تحديد السلوك المنحرف من غيره، أي بمعنى آخر، في ظل عدم توافر المرجعيات السلوكية المتوازنة اجتماعياً على مستوى الأسرة، ينشأ الفرد في بيئة تنمي في نفسيته التوجه نحو الانحراف والاستمرار فيه من أجل إشباع حاجاته بأي طريقة كانت. وفي السياق ذاته، اتضح أن تسعة أعشار المراهقين المنحرفين افتقدوا خلال طفولتهم إلى النموذج الأبوي السوي⁽²⁾.

يمكن كذلك أن تساهم ظروف الأسرة -من الناحية التربوية- في إنتاج الانحراف والعود إليه لدى الأفراد، بطريقة غير مباشرة عندما يجهل

¹ - فتوح عبد الله الشاذلي: علم الإجرام وعلم العقاب (علم الإجرام العام). ط1، دار الهدى للمطبوعات، الإسكندرية، 1993، الجزء 1، ص 274.

² - تماضر حسون وحسين الرفاعي: مرجع سابق، ص 137.

القائمون على عملية تربية الأبناء الأسس السوية للتربية، ومن الممكن ملاحظة ذلك مثلاً في حالة:

- >>...إسراف الأبوين في الحنان والتدليل الزائد للطفل، أو إسرافهما في القسوة على الطفل وحرمانه من مطالبه الضرورية...<<⁽¹⁾، وهذا التطرف في اتجاهات الوالدين نحو تربية الأبناء، ينعكس سلباً على بناء شخصيتهم وسلوكهم المستقبلي، الذي قد يوجههم نحو الانغماس في الانحراف. كذلك تتضمن التربية غير السوية احتمال اتجاه الوالدين إلى اعتماد أسلوب التذبذب في المعاملة جزاء على السلوك ذاته. وقد تتمظهر هذه التربية في شكل صراع الأبوين على مضمون وكيفية تربية الأولاد. وهذا ما يفقد الطفل فهم لب الرسالة التربوية الموجهة إليه من قبل الأبوين.

- كذلك السماح لأحد الأصدقاء أو الجيران أو الأقارب بالتدخل في تربية الأبناء بشكل كبير⁽²⁾، وخاصة إذا كان النموذج المقدم ليس قائماً على تنمية الجوانب الإيجابية في شخصية الفرد، بل بالعكس تشجيعه على الانحراف. ومن بين الدراسات التي أجريت في موضوع علاقة التربية الخاطئة بالانحراف والعود إليه، ما تم إجرائه في >>...ألمانيا على 500 مجرم من العائدين (حيث تبين أن 60% منهم قد نشأوا في ظل مبادئ تربوية غير سليمة<<⁽³⁾. وفي سنة 1983 أجرى (شوكا لينجام ChockaLingham) دراسة على 50 عائداً وآخرين غير عائدين، وكان الهدف من الدراسة هو تبيان العلاقة ما بين العود وعوامل اجتماعية مثل نقصان التربية، ومن بين النتائج المتحصل عليها: >>...العائدون كانوا أكثر من غير العائدين، من حيث افتقارهم للتربية والمراقبة الأبوية. كذلك كان لهم آباء لم يكونوا على علم بالمخالفات المرتكبة من قبلهم<<⁽⁴⁾. وهنا يظهر بوضوح غياب الضبط والمتابعة من قبل الوالدين كميزة أساسية عند العائد إلى الانحراف.

¹ - فتوح عبد الله الشاذلي: مرجع سابق، ص 276.

² - محمود عقل: مقدمة في علم الإجرام (دراسة في علم اجتماع الجريمة). ط1، الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية، القدس الشريف، 1991، ص 100.

³ - فوزية عبد الستار: مرجع سابق، ص 169.

⁴ - www.csc-scc.gc.ca/text/research/reports/r192/r192_f.Shtml :I bid

كما قام مركز دراسات وبحوث السجون في فرنسا بإجراء دراسة توصل من خلالها إلى أن: >> 40% من المجرمين المبتدئين كانت تعوزهم في طفولتهم رعاية الأم، وأن نسبة 50% من المجرمين العائدين عانوا كذلك الحرمان من تلك الرعاية... <<⁽¹⁾. وهذا مع العلم أن رعاية وتعهد الأم لطفلها وظيفه جد مهمة في بناء شخصية سوية وممتثلة في المجتمع.

ومن الظروف التربوية المميزة للأسرة هو انخفاض المستوى التعليمي للوالدين- تجدر الإشارة هنا إلى أن انخفاض المستوى التعليمي عند الأبوين لا يعد عامل أساس في دفع الأفراد نحو العود إلى الانحراف، ولكنه في ظل تفاعله مع عوامل أخرى يشجع ذلك على انتهاج العود إلى الانحراف كسلوك في المجتمع- وهذا من الممكن أن يساهم في فشلها في تربية الأبناء تربية سوية، وهذا بالنظر لعدم مقدرتهما في بعض الأحيان على فهم سلوك الأبناء وتوجيهه نحو الوجهة الصحيحة، وقد توصل كل من تماضر حسون وحسين الرفاعي إثر دراسة جملة مساجين ينتسبون إلى ثلاث دول عربية، أنه بالنسبة للأمهات فقد بلغت نسبة الأمية لديهن >> 90% من مجموع أمهات أفراد العينة... في حين بلغت نسبة الأمية لدى الآباء 39%... <<⁽²⁾.

2- انهيار المستوى الأخلاقي لأفراد الأسرة ودوره في العود إلى الانحراف.

يعتبر المستوى الأخلاقي المنهار من بين أشكال التفكك المعنوي على مستوى الأسرة، وهو بدوره له دور كبير في سلوك أفرادها. ويتضمن انهيار الأخلاق على مستوى الأسرة >>... انعدام القيم الروحية وفقدان المثل العليا، واختلال المعايير الاجتماعية داخل جدران المنزل. مثل هذه الأسرة تكون الحياة فيها مجردة من معاني الشرف والفضيلة أو السلوك الطيب، ويصبح فيها الجريمة والاعوجاج وسوء

¹ - رؤوف عبيد: **أصول علمي الإحرام والعقاب**. ط8، دار الجيل للطباعة، مصر، 1989، ص 394.

² - تماضر حسون وحسين الرفاعي: مرجع سابق، ص 164.

الخلق أمرا عاديا..وأهم عوامل الانهيار الأخلاقي داخل الأسرة هو انحراف الوالدين أو كلاهما، أو انحراف أكبر الأبناء أو أكبر البنات⁽¹⁾.

فالبينة الأخلاقية المتدهورة والفاصلة، تعمل على توفير الجو الملائم لإنتاج انحراف أفرادها، وذلك في ظل غياب ضمير قوي يضبط داخليا سلوكيات الأفراد من جهة، ومن جهة أخرى في ظل غياب أبسط قواعد النظام والأخلاق، وهذا ما يشجع الأفراد من الأسرة على الاندفاع بدون رقيب نحو اقتراف الأفعال المنحرفة اجتماعيا وأخلاقيا.

كذلك تدعيما لما سبق، يتمظهر الانهيار الخلقى داخل الأسرة بمظاهر متعددة منها: >>...انحراف الوالدين، فقد يكون الأب منحرف أو من تجار المخدرات، أو بصفة عامة عميل للسلجون لأي جريمة أخرى ... وقد لا يكون انحراف الأب راجعا بالضرورة إلى ارتكابه الجريمة⁽²⁾. من جهة أخرى يعد انحراف الأم شيء جد خطير على تربية الأبناء ومستقبل سلوكهم داخل المجتمع، ولهذا الانحراف صور متعددة >> أشدها خطرا احتراق الأم للذيلة، وهو سلوك يعكس سلبا وبصفة خاصة على البنات...وقد ينحصر انحراف الأم في سلوكها المعيب داخل المنزل...⁽³⁾. فهذا المستوى الأخلاقي المنحط لدى الأبوين ولدى الراشدين من الأبناء، يوفر القدوة السيئة لباقي الأفراد داخل الأسرة، وهذا من الممكن جدا أن يؤثر في جعلهم يتبنون تلك الأخلاق الفاسدة ويجعلونها منطلقات أساسية توجههم في عالم انتهاج الانحراف والاستمرار فيه. وفي هذا المجال أجرى ستميلP. Stumpel دراسة>>...على عينة شملت مجموعات من الأسوياء والمجرمين المبتدئين والمجرمين العائدين، تبين له من خلالها أن 66% من أبناء المجرمين العائدين هم من مدمني المسكرات أو من المصابين بأمراض عقلية...⁽⁴⁾. وكذلك أجرى لثنورLeteneur بحثا حول

¹ - حسين عبد الحميد رشوان: الجريمة (دراسة في علم الاجتماع الجنائي). المكتب الجامعي

الحديث، الإسكندرية، ص ص 150 - 151.

² - سليمان عبد المنعم سليمان: أصول علم الإجرام القانوني. الدار الجامعية الجديدة للنشر، الإسكندرية، 1994، ص 339.

³ - سليمان عبد المنعم سليمان: المرجع السابق، ص 339.

⁴ - أحمد حبيب السماك: مرجع سابق، ص 208.

>> 400... من العائدين المدمنين سجن Ensisiten بفرنسا [حيث خلص إلى] أن 30% من العائدين المدمنين جاءوا من أسر تفضى فيها الإدمان... <<(1) وقد أجرى Stury في ألمانيا دراسة شملت >> 144... مجرماً حدث وجد أنه في 32% منها كان الأب مجرماً، و25% كان مدمناً خمر... وفي 36% منها كان أحد الإخوة مجرماً، وكانت هذه الأرقام جميعاً تفوق المتوسط العام <<(2).

هذه النتائج الإحصائية تؤكد بصفة ملموسة بعض الظروف المتعلقة بالانهيار الخلقي والسلوكي الذي تميز أسر المنحرفين والعائدين إلى الانحراف كذلك. ففي ظل بيئة أسرية تتميز بسوء الأخلاق كيف يكون مصير الأفراد الصغار ضمن هذا الوسط ؟

3 - تدهور العلاقات فيما بين أفراد الأسرة وتأثيرها في عودهم إلى الانحراف.

على الرغم من كون العلاقات فيما بين أفراد الأسرة لا يمكن فصلها من الناحية الواقعية عن الجانب المادي لها أو حتى عن باقي أشكال الجانب المعنوي، وذلك راجع لتداخلها فيما بينها من جهة، ومن جهة أخرى لتأثير كل واحدة منها على الطرف الآخر، إلا أنه سيتم إجراء محاولة لتبيان بعض خصائص العلاقات فيما بين أفراد أسرة العائدين. وفي هذا الصدد يرى عبد الحميد رشوان أن من بين خصائص الأسرة التي تنتج المنحرفين هناك: >> شيوع التوتر في الأسرة، ازدياد الصراعات بين الأزواج يتلف العلاقات القربانية، ويولد فيها أخطر ردود فعل، ومنها الفعل الإجرامي <<(3). فالجو السائد في الأسرة الذي يملؤه الصراع وكثرة الخلافات بين الأبوين وبين الإخوة من جهة وبين الأبوين والإخوة من جهة أخرى، هذا من شأنه أن يفسد الحياة المتوازنة للأفراد بداخل الأسرة. ويمكن جداً يفسر توجه بعض الأفراد إلى الانحراف والاستمرار فيه جراء ذلك الجو.

1 - أحمد حبيب السماك: مرجع سابق، ص 208.

2 - السيد رمضان: إسهامات الخدمة الاجتماعية في ميدان السجون وأجهزة الرعاية اللاحقة. دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1995، ص 129.

3 - حسين عبد الحميد رشوان: مرجع سابق، ص 147.

ويرى (نظير فرج مينا) أن من مظاهر العلاقات الأسرية السيئة في ارتباطها بالانحراف هناك: >>...مظهر وجود زوجة الأب...وقسوة الوالد على الأم أمام الأبناء وعدم الاختلاط بين الوالد والأبناء<<⁽¹⁾.

وتعدد زواج الأب من الممكن أن يعمل على توتر العلاقات -على الأقل- بين الزوجة السابقة والحالية وقد يؤدي بدوره إلى الصراع الذي من شأنه أن يهدد استقرار الحياة الأسرية بصفة عامة. وفي ظل هذه الأجواء يتجه بعض الأفراد للبحث عن متنفس، يروح عنهم وطأة ثقل الجو المشحون داخل البيت، فمن الممكن أن يتعاطوا المخدرات ويستمرروا في ذلك، كما من الممكن أن يسلكوا انحرافات أخرى أقل أو أكثر ضررا.

ويعتقد محمد شفيق أن الجانب العلائقي فيما بين أفراد الأسرة من الممكن أن تؤدي إلى انحراف الأحداث بها وتماديهم مستقبلا في عالم الانحراف فيقول: >>يعتبر عدم التجانس المنزلي...من العوامل التي تؤدي إلى زيادة احتمالات انحراف الأحداث، وذلك كما يشاهد في حالات سيطرة أحد الأعضاء على الآخر أو على الجميع، أو كما يبدو ذلك في حالات المحاباة بين أفراد الأسرة الواحدة وتفضيل البعض على الآخر، والتجنيب أو العزل الاضطهادي أو السخرية تجاه أفرادها أو كما يحدث حينما تشيع روح الغيرة والعداوة والحقد بين الإخوة...<<⁽²⁾.

من الدراسات التي أجريت فيما يخص تبيان علاقة واقع العلاقات في الأسرة بتوجه أفرادها أو البعض منهم نحو الانحراف أو حتى العود إليه، هناك مثلا: >>...الدراسة التي أجراها شيلدونواليانور جلوك في الولايات المتحدة الأمريكية [حيث تبين] أن الأحداث المجرمين موضوع الدراسة قد تربوا في بيوت استحكمت العداة فيما بين الآباء والأمهات أو بين الوالدين والأبناء<<⁽³⁾. كذلك

¹ - نظر فرج مينا: الموجز في علمي الإجرام والعقاب. ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993، ص 138.

² - محمد شفيق: الجريمة والمحتمع (محاضرات في الاجتماع الجنائي والدفاع الاجتماعي). المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ص 113 - 114.

³ - علي محمد جعفر: الأحداث المنحرفين (عوامل الانحراف - المسؤولية الجزائية - التدابير). ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1984، ص 62.

ما جاء به محمود عقل، حيث رأى أنه >>... لقد أشارت الدراسات التي أجريت على أحداث منحرفين أن 61,6% من الذين شملهم البحث كانت علاقاتهم مع آبائهم غير مرضية، وأن 65% كانت العلاقات بينهم وبين والديهم تمتاز بشبه القطيعة التامة والإهمال من قبل الوالدين، وذلك بسبب الإدمان على المخدرات، القمار، الخمر، ثم عدم التوافق بين الأبناء والآباء... <<(1).

بالإضافة لما سبق فقد أثبتت الدراسات أن العائدين إلى الانحراف من الممكن جدا أن تكون لهم علاقات اجتماعية جد متدهورة على مستوى الأسر التي يكونونها في حياتهم. وفي هذا المجال أجرى بلاكلر Blackler >>... دراسة واسعة حول رجال في بداية مساهمهم الإجرامي، وهذا بمقارنة 242 عائدا أولى بـ 438 رجلا يقضون عقوبتهم الأولى. [ومن جملة النتائج التي توصل إليها صاحب الدراسة هو أن]... العائدين يميلون إلى معرفة إخفاقات أسرية ومشاكل مع الأشخاص في مجال واسع للعلاقات مقارنة بالجانحين الأوليين [كذلك أن]... العائدين الأوليين عرفوا نسبة كبيرة من الإخفاق في الزواج... <<(2).

وقبل سنة من إجراء دراسة Blackler : 1966، أجرى ماندال Mandel دراسة أكدت نتائجها >>... أن العائدين يميلون لمعرفة مشاكل وصراعات زوجية أكثر تكرارا مقارنة بغير العائدين... <<(3).

يتبين من هذه الدراسات أن العائدين إلى الانحراف عاجزون من الناحية الاجتماعية والأسرية عن أن يكونوا علاقات ناضجة ومستقرة تسمح لهم من التفاعل ايجابيا داخل المجتمع.

الخاتمة-

على مستوى هذا العمل تم تسليط الضوء على دور العوامل الخاصة بتفكك البيئة الأسرية في بروز العود الى الانحراف في المجتمع لدى أفراد الأسرة وذلك من الناحية:

¹ - محمود عقل: مرجع سابق، ص 101.

² - www.csc-scc.gc.ca/text/research/reports/r192/r192_f.Shtml: I bid

³ - www.csc-scc.gc.ca/text/research/reports/192/192_f.Shtml: I bid

- **المادية خاصة ما تعلق باثر غياب او مرض احد او كلا الابوين و حجم افراد الاسرة.** - **المعنوية خاصة ما تعلق بالتربية غير السليمة وبانهيار المستوى الاخلاقي لأفراد الاسرة وتدهور العلاقات فيما بينهم .**

مع العلم أنها كعوامل أسرية تندرج ضمن عوامل البيئة الاجتماعية التي تتميز بالتعدد والنسبية في مساهمتها في عملية إنتاج العود إلى الانحراف على مستوى المجتمع.

الجدير بالذكر انه جراء المعالجة النظرية لموضوع الدراسة برز من الناحية الامبريقية ضرورة تناول هذه الظاهرة عن طريق المعالجة الميدانية على مستوى المجتمع الجزائري . ولعل هذا ما سيكون جديرا باهتمام الباحثين في أعمالهم المستقبلية.

المراجع

الكتب:

- 1 - أحمد حبيب السماك: ظاهرة العود إلى الجريمة (في الشريعة الإسلامية و الفقه الجنائي). ذات السلاسل للطباعة و النشر، الكويت، 1985.
- 2 - أكرم نشأت إبراهيم: علم الاجتماع الجنائي. الدار الجامعية للطباعة والنشر، لبنان
- 3 - السيد رمضان: إسهامات الخدمة الاجتماعية في ميدان السجون وأجهزة الرعاية اللاحقة. دار المعرفة الجامعية، مصر، 1995.
- 4 - تماضر حسون وحسين الرفاعي: المشكلات الأمنية المصاحبة لنمو المدن والهجرة إليها. تقديم: فاروق عبد الرحمن مراد، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، المملكة السعودية، 1408 هـ.
- 5 - جعفر عبد الأمير الياسين: أثر التفكك العائلي في جنوح الأحداث. ط1، عالم المعرفة، لبنان، 1981.
- 6 - حسين عبد الحميد رشوان: الجريمة (دراسة في علم الاجتماع الجنائي). المكتب الجامعي الحديث، مصر.
- 7 - رؤوف عبيد: أصول علمي الإجرام والعقاب. ط8، دار الجيل للطباعة، مصر، 1989.
- 8 - سليمان عبد المنعم سليمان: أصول علم الإجرام القانوني. الدار الجامعية الجديدة للنشر، مصر، 1994.
- 9 - فتوح عبد الله الشاذلي: علم الإجرام وعلم العقاب (علم الإجرام العام). ط1، دار الهدى للمطبوعات، مصر، 1993، الجزء 1.

- 10- فوزية عبد الستار: مبادئ علم الإجرام و علم العقاب. ط 5، دار النهضة العربية، لبنان، 1976.
- 11- علي محمد جعفر: الأحداث المنحرفين (عوامل الانحراف - المسؤولية الجزائية - التدابير). ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر والتوزيع، لبنان، 1984.
- 12 - محمد شفيق: الجريمة والمجتمع (محاضرات في الاجتماع الجنائي والدفاع الاجتماعي). المكتب الجامعي الحديث، مصر.
- 13 - محمد شلال العاني وعلي حسن طوالبه: علم الإجرام و علم العقاب. ط1، دار المسيرة، الاردن، 1998.
- 14 - محمود عقل: مقدمة في علم الإجرام (دراسة في علم اجتماع الجريمة). ط1، الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية، فلسطين، 1991.
- 15- نظر فرج مينا: الموجز في علمي الإجرام والعقاب. ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993.
- الدوريات:
- 16 - معتصم زكي السنوي: "أسباب العود إلى الجريمة". الأمن والحياة (مجلة أمنية ثقافية إعلامية)، العدد 247، أكاديمية نايف للعلوم الأمنية، المملكة السعودية، 2003.
- المرجع الالكتروني:

17- www.csc-scc-gc

ca/text/research/reports/r192/r192_f.shtml.12/07/2010